بسم الله الرحمن الرحيم

ذمـار القـرن
موقع مدينـة ذمار القديمـة

خلدون هزاع عبده نعمان

مدرس مساعد – قسم الآثار والمتاحف

جامعة ذمار

مقدمة :

اسم ذمار بفتح أوله وثانيه ثم الف وراء هو ما تجري عليه ألسنة الناس حالياً، ولكن في معاجم اللغة هناك خلاف، حيث قال الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٠ هـ): "الذِمارُ الرجلِ: كلُّ شيءٍ يلزَمُه الدفعُ عنه، وإنْ ضَيَّعَه لزمَه الذَّمْرُ أي اللَّوْمُ"[١]. وقال الجوهري (٠٠٠ ـ ٣٩٣ هـ):"حَامِي الذِمار؛ والـجمع حُمَاةٌ وحامِيَةٌ"[٢]. ونفس الشيء قاله ابن فارس (٣٢٩ ـ ٣٩٥ هـ)[٣].

وتميز البكري (٠٠٠ ـ٤٨٧ هـ) عن غيره بقوله أنه بفتح أوله حيث قال :" ذَمَار بفتح أوّله وثانيه، والراءِ المهملة مكسورة: اسم مَبْنِيٌّ، وهي مدينة باليَمَن معروفة. وقال ايضا : "الذَّمَار: على مثال لفظه، بزيادة الألف واللام: بلد بحَضْرَمَوْت، يُنْسَب إليه: أذْمُوريّ، ليُفَرّق بين النسب إليه وإلى ذَمَار المتقدّم ذكره[٤].وقال ابن الأثير(٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ): "ذِمار وهو بكسر الذال، وبعضهم يفتحها: اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء. وقيل هو اسم صنعاء" [٥].

أما ياقوت الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ) : فقد أسهب في الحديث عن ذمار وقال " ذِمار: بكسر أوّله وفتحه، وبناؤه على الكسر وإجراؤه على إعراب ما لا ينصرف؛ والذمار : ما وراء الرجل ممّا يحقّ عليه أن يحميه، فيقال: فلان حامي الذمار، بالكسر والفتح، مثل نَزَال بمعنى انزل وكذلك ذمار أي احفظ ذمارك ... و ذِمار اسم لصنعاء، وصنعاء كلمة حبشيّة أي حصين وثيق، قاله الحبش لما رأوا صنعاء حيث قدموا اليمن مع أبرهة وارياط، وقال قوم: بينها وبين صنعاء ستة عشر فرسخاً، وأكثر ما يقوله أصحاب الحديث بالكسر [٦]. وقال ابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ):"و الذِّمَارُ: ذِمارُ الرجل، وهو كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضَيَّعه لزمه اللَّوْمُ [٧].

أما مرتضى الزبيدي (ت : ١٢٠٥ هـ)، فقد ذكر مدينة ذمار وقال الأشهر فتح ذالها، وقال أنها مدينة عامرة كبيرة ذات قصور ومباني فاخرة، ومدارس علم[٨].

وفي هذا البحث سوف نتناول أولاً المعطيات الأثرية والنقشية والتاريخية التي تتعلق بمدينة ذمار المعروفة حالياً بالدراسة والتحليل، و ثانياً سوف نتناول موقع ذمار القرن من خلال المعطيات الأثرية الموجودة فيه، وكذا ما ورد عنه في المصادر الاخبارية العربية وذلك بالدراسة والتحليل أيضا، وبعد الانتهاء من ذلك سيتم دمج كافة المعطيات وتحليلها للخروج بنتائج نهائية تبين العلاقة والمسار التاريخي لمدينة ذمار القديمة مع محيطها الريداني.

مدينة ذمار : (خارطة ١)

تقع مدينة ذمار إلى الجنوب من العاصمة صنعاء بمسافة (١٠٠ كم)[٩]، وتنطق حالياً بفتح الذال وليس بكسره، وقد شيدت في الجهة الشمالية الشرقية من قاع ذمار المسمى وادي الجنات، والذي يمتد طولياً من الغرب إلى الشرق، في نفس اتجاه مجرى المياه للوادي المعروف حالياً بوادي الجنات.

إلى الشمال من مدينة ذمار يقع حصن هران الأثري ويبعد عنها بمسافة (١ كم)، والى الجنوب تقع قرية ذمار القرن على بعد (٤ كم)، والى الشرق تقع قرية الملة على بعد (٥ كم)، وقد وصل التوسع العمراني لمدينة ذمار إليها، وفي الجهة الشمالية الشرقية تقع قرية يفع على بعد (٦ كم) تقريباً. وتنسب المدينة إلى عشيرة يهفرع[١٠]، الذين ينتمون إلى قبيلة مقرأ[١١].

الآثار التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام والباقية في مدينة ذمار قليلة للغاية، وهي عبارة عن عدد من الأحجار المستخدمة في تشييد المباني وخاصة الدينية، بعضها يحمل كتابات بخط المسند، والبعض الآخر تحتوي على زخارف نباتية وأشكال هندسية.

مدينة ذمار في المصادر النقشية والاخبارية :

أ – المصادر النقشية : أقدم إشارة تاريخية معروفة حتى الآن عن ـ هـ ج ر ـ مدينة ذمار، وردت في النقشان (Ja 576/14-16; 577/2) من عهد الملكان إل شرح يحضب وأخيه يأزل بين ملكي سبأ وذي ريدان في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي. والنقشان عبارة عن سجل حروب الملكين المشار لهما، وقد جاءت الإشارة في سياق الحديث عن حروب الملكين ضد الزعيم الريداني شمر يهحمد ـ شمر ذو ريدان في النقوش السبئية ـ وحتى تتضح الصورة أكثر نورد هنا ما جاء في النقشان بخصوص مدينة ذمار وهو كالآتي:

في النقش (Ja 576/14-16) :

(١٤) (   ) وب ن هـ و/ فـ ي هـ ص رن/ع دي/ ب ي ن/ هـ ج رن هـ ن/ هـ رن/ وذم ر/ وي سَ م ك ن/ م ل ك ن/ إ

(١٥) ل ش ر ح/ ي ح ض ب/ و ب ع م هـ و/ ذ ب ن/ أ ق و ل هـ و/ و خ م س/ م أ ن م/ و أ ل ف م/ أ س د م/ و أ ر ب ع ي/ أف ر س م/ و ي هـ ك ب ن/ ش م ر/ ذ ر ي د ن/ و ب ع م هـ و/ س ث ت/ ع ش ر/ أ أ ل ف م/ أب [ل م/ و أ ش ع ب/ ح م ي ر م/ و] ر د م ن/ و م ض ح [ي م / ٣٣ حرف ناقص] ذ ري دن/ و م ص ي ر ت/ ح م ي رم/ ب و س ط/ هـ ج رن/ ذم ر/ و سَ م ك و/ ب ن/ ح ي ر ت هـ م و/ م هـ س ك ن م/ و أ ف ر س هـ م و/ ب أن ح

(١٦) ر م/ و ط ر ي دم/ و هـ م و/ أ ح م رن/ فـ أس ي و/ ل هـ م و/ و ك ي م/ ع دي/ ذت/ م ظ أو/ خ ل ف/ [هـ ج] ر[ن]/ و هـ ب ر ر/ ذ ر ي د ن/ و م ص ي ر ت/ ح م ي رم/ ب ع ل ي هـ [م و/ ٢٩ حرف ناقص] م/ ش م ر/ ذري دن/ و م ص ي ر ت/ ح م ي رم/ ول د ع م/ و هـ س ح ت هـ م و/ع دي/ ذ ح م ل هـ م و/ م ص رع ت/ هـ ج رن/ ذم ر/ وش م ر/ ذر ي د

و في النقش (Ja 577/1-3):

(١) فـ هـ رج/ فـ ر س هـ و/ و ح(ظ)/ فـ ع د د و/ ل هـ ج رن/ ز خ ن م/ وهـ رج و/ ب ن/ م ص ي ر ت/ ح م ي رم/ وردم ن/ و م ض ح ي م/ م هـ رج م/ ذع س م/ و م ل ك ن/ إل ش رح/ ي ح ض ب/ وأس د/ س ت ث رن/ (.) ن م[..]/ ب ن/ خ م س[هـ و/] و أ فـ ر س هـ و/ فـ ت أ و ل و[/ع] دي/ [... هـ] م و/ ذت رزن ن/ ب وفـ ي م/ و ح م دم/ و م هـ رج ت م/ ذع س م/[...

(٢) ب ع م/ح ي فـ/ ح ي فـ هـ و/ ش م ر/ ذري دن/ وأش ع ب/ح م ي رم/ و ل د ع م/ وفـ خ رو/ ب ع ب ر/ ش م ر/ ذ ر ي د ن/ و م ص رهـ و/ ل ت ق د م (ن)/ ك ل/ هـ م ت/ ي م ت م/ وت ص ن ع و/ ب و س ط/ هـ ج رن/ ذم ر/ وج ب أو/ وت أول و/ ع دي/ هـ ج رن/ ن ع ض/ و ب ن/ هـ ج رن/ ن ع ض/ فـ ج ب أ و/ وهـ ص ر و/ ع د ي/ ب ي ن/ هـ ج ر ن هـ ن/ و ل فـ ي و/ ب هـ و/ م هـ [رج ت م/ و س ب ي م/ و غ ن م م/ ذ ع س م/ و ب ن هـ و]

(٣) فـ ت أ و ل و/ ع دي/ هـ ج ر ن/ ص ن ع و/ ب و فـ ي م/ و ح م د م/ و أ ح ل ل م/ و س ب ي م/ و غ ن م م/ و م ل ت م/ ذع س م/ و ب ع د هـ و/ فـ ع دو/ ج ر م ت/ و ل د/ ن ج ش ي ن/ و ب ع م هـ و/ أ ح ز ب/ ح ب ش ت/ و ذ س هـ ر ت م/ ض رم/ ب ع ل ي/ أ م ل ك/ س ب أ/ ح ج ن/ ك س ت ص رهـ م و/ ش م ر/ ذ ري د ن/ و خ م رهـ م و/ إل م ق هـ ث هـ ون ب ع ل أ و م/ ح س م/ ك ل/ هـ م [ت/ ....../ ش م ر]

ومعنى ما ذكر في النقشان هو :

(إن الملكين واقيالهما وجيشهما بعد أن غزوا عدد من المناطق الريدانية) ذهبوا إلى بين المدينتين هران وذمار، وصعد الملك إل شرح يحضب ومن معه من أقيال وكذا (١٥٠٠) جندي وأربعون فارساً، ووجدوا شمر ذو ريدان ومعه (١٦٠٠٠) من الإبل ؟– ربما الجنود - وقبائل حمير وردمان ومضحى (٣٣ حرف ناقص) ذو ريدان وقوات حمير وسط مدينة ذمار، وصعدوا من معسكرهم ومعهم الخيول المدربة على القتال والمطاردة، وهؤلاء الحميريون فأنهم راقبوهم حتى وصلوا إلى قرب المدينة، وهجم الريدانيون ومن معهم من الحميريين عليهم (٢٩ حرف ناقص)، ... شمر ذو ريدان وأتباعه من الحميريين ولد عم وهزموهم حتى أجبروهم على التراجع إلى أبواب مدينة ذمار، وشمر ذو ريدا[ن] (نهاية النقش).

ثم يتواصل وصف الأحداث في النقش (Ja 577/1-3)، حيث يقول:

فقتل فرسه (المسمى) وحاظ ، وعند ذاك ذهبوا إلى مدينة (زخنم)، وقتلوا حاميتها من الحميريين وردمان ومضحى وهو ما أسعدهم. ثم أن الملك إل شرح يحضب ونخبة من الجنود (نقص في النقش) ... جيشه وفرسانه، فعادوا إلى (مدينة) ذي ترزنن، بالسلامة والعافية والنصر الكبير. [...] جمع جمعه شمر ذو ريدان وقبائل حمير ولد عم، وتحدوا شمر ذو ريدان وأتباعه ليتقدموا لحربهم في تلك الأيام، ولكنهم وتحصنوا بوسط مدينة ذمار ، ثم أنهم –إل شرح ومن معه- عادوا ورجعوا إلى مدينة نعض، ومنها عادوا وتوجهوا حتى (وصلوا إلى) بين المدينتين، وأصابوا به نصراً [وسبي وغنائم كثيرة ومنه] فرجعوا إلى مدينة صنعاء بالسلامة والحمد وحلل وسبي وغنائم كثيرة، بعد ذاك أعلن جرمة ولد النجاشي ومعه أحزاب ذو سهرة الحرب على ملوك سبأ لأن شمر ذو ريدان أستنصرهم، ومنحهم إلمقه ثهوان بعل أوام حسم كل تلك [١٢] [خراب في النقش].

هذه هي الصورة التي رسمها الملكان إل شرح يحضب وأخيه يأزل بين في نقشيهما عن الأعمال العسكرية التي قاما بها مع الأقيال والقوات السبئية التابعة لهما حول مدينة ذمار.

بعد تلك الأحداث بحوالي قرن من الزمان، ذكر نقش (Masnaᶜat Māriya /5) ضمن المناقل المذكورة فيه [م ن ق ل ن / ذ] ذ م ر م)، وتعني النقيل الذي بذمار، واكتفى النقش بذلك دون تأكيد بأنها (هـ ج ر) - مدينة – ذمار.

ب ـ المصادر الاخبارية : في مقدمة البحث تم عرض ما ذكرته المعاجم العربية عن اسم ذمار، وهنا سوف نستعرض أهم الإشارات إلى ذمار في المصادر التاريخية الاخبارية، حيث ذكرت ذمار أول الأمر في أشارة عن وهب بن منبه، (ت١١٤هـ)[١٣]، حيث يذكر ابن هشام (ت : ٢١٦ هـ) العبارة الشهيرة عن مدينة ذمار والقائلة "لمن ملك ذمار لحمير الأخيار لمن ملك ذمار للحبشة الأشرار لمن ملك ذمار لفارس الأحرار لمن ملك ذمار لقريش التجار[١٤]. وهذه العبارة أوردها بعد ذلك العديد من الكتاب الاخباريين في كتبهم، مع بعض التحريف والزيادة. وجاء الحسن الهمداني (ت بعد: ٣٥٠ هـ) في الصفة بأهم إشارة عن ذمار، حيث قال في معرض حديثه عن مخلاف ذمار: " ذمار قرية كبيرة جامعة بها زروع وآبار قريبة ينال ماؤها باليد ويسكنها بطون من حمير وأنفار من الأبناء ورأس مخاليفها بلد عنس"[١٥]. وفي الجزء الثامن من الإكليل أورد الهمداني عن وهب بن منبه مقولة (لمن ملك ذمار ..... الخ) وأضاف قوله: وذمار : غمدان ومارب وصنعاء والعالية وما بينهما[١٦]. وبعد زمن الهمداني بحوالي قرن، ذكر الرازي (ت : ٤٦٠ هـ) أن مسجد ذمار بني بعد مسجد صنعاء بأربعين يوماً[١٧]. ولم يأتي نشوان بن سعيد الحميري (ت : ٥٧٣ هـ)[١٨]، بأي إضافة إلى ما ذكره الهمداني[١٩].

تحليل المعطيات النقشية والاخبارية:

من خلال تحليل المعطيات النقشية والاخبارية يمكن القول أن مدينتا هران وذمار كانتا متجاورتان، وقد ذكرتا صراحة بأنهما (هـ ج ر ن هـ ن) – المدينتان-، وكلمة هجر هي التي تميز القرية عن المدينة في النقوش اليمنية القديمة[٢٠]، إلا أن تحصينات مدينة ذمار كانت هي الأفضل، لذلك لجاء إليها الملك شمر يهحمد ومن معه من قبائل حمير ومضحى وردمان للتحصن من القوات السبئية في وسط المدينة تحديداً. أما مدينة هران فلم يكن لها دور يذكر في تلك الحرب، ويبدو أن سكانها تركوها وانضموا إلى بقية الريدانيين في مدينة ذمار القريبة منهم وإن لم تذكر النقوش ذلك صراحة. فقد كان المتوقع أن يحدث عكس ذلك، فمدينة هران تتمتع بتحصينات طبيعية ممتازة، إذا ما قارناها بمدينة ذمار الحالية، ويتوسط جبل هران مرتفع إضافي يعلو مباني المدينة، وينتهي بمساحة تكفي لإقامة حصن مستقل عن المدينة بملحقاته ، يتم الوصول إليه عبر طريق ضيق مبني بالأحجار، وتحيط به من جميع الجوانب منحدرات حادة، ويكفي إغلاق الطريق ليصبح الوصول إلى الحصن مستحيلاً. حتى وإن سقطت المدينة المحصنة أيضاً في أيدي الأعداء.

بدأت المعركة بين الجانبين السبئي والريداني بمبادرة من القوات السبئية التي تحركت من معسكرها الموجود بين المدينتين، وصعدت نحو الريدانيين المتحصنين وسط مدينة ذمار بخيولها المدربة على القتال، وهنا علينا الوقوف كثيراً أمام كلمة (سَ م ك و)- بالسين الثالثة- وتعني صعدوا، فالصعود لا يكون إلا للأماكن العالية والمرتفعة، الأمر الذي لا نراه في مدينة ذمار الحالية، والتي شيدت مبانيها في قاع منبسط تماماً. وتشييد المدينة في موقعها المعروف حالياً، يتناقض مع أهم مميزات المدينة الريدانية، التي تميزت عن غيرها من المدن اليمنية القديمة ببنائها فوق مرتفعات جبلية وعرة وصعبة المنال بالنسبة للأعداء. والشواهد على ذلك كثيرة من أهمها العاصمة الريدانية ظفار (منكث) ومدن أخرى منها هكر وبينون وسمعان – مصنعة مارية حالياً – وضاف ويكار وهران. ولعل أقدم نموذج معروف للمدينة الريدانية المشيدة فوق مرتفع جبلي شديد الانحدار هو ما يعرف حالياً باسم [(حمة القاع)، "المشيدة في الطرف الشمالي من سهل خصيب مغلق، على بعد ٣٧ كم شمال مدينة ذمار"[٢١]، وهذه المدينة كانت محاطة بسور ويمكن الاستدلال على وجود ثلاث بوابات للسور[٢٢]. ويرجع تاريخ (حمة القاع) إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وتمثل أحد أهم مواقع العصر البرونزي[٢٣] (لوحة ١).

وحسب الرواية السبئية للمعركة فإن القوات السبئية تمكنت من هزيمة شمر ذو ريدان وأتباعه الحميريين ولد عم في القتال الذي وقع خلف المدينة، حيث تم دحر تلك القوات حتى (م ص ر ع ت) - باب ، مدخل – مدينة ذمار. وبصرف النظر عن صحة الرواية السبئية إلا أن ما يهمنا هو أنها ذكرت بوضوح باب مدينة ذمار، وأبواب المدن لا تكون إلا على أسوارها، فأين هو ذلك السور الذي يفترض فيه أن يكون من الضخامة والقوة لدرجة تجعل القوات السبئية تتقهقر من حوله ؟

لقد بذلت جهود كبيرة في سبيل العثور على السور المفترض أو شيء من آثاره في محيط مدينة ذمار الحالية، إلا أن تلك الجهود لم تفلح في العثور على شيء يذكر. كما أن المصادر الاخبارية لا تفي بالغرض، فقد أشار ابن

المجاور (في القرن السابع الهجري) بشكل يكتنفه بعض الغموض إلى ما يمكن أن يعد باب لسور مدينة ذمار، حيث قال عن عجائب ذمار " لم يوجد فيها حية ولا عقرب وإذا دخل إنسان بحية إلى ذمار فعند دخوله الباب تموت الحية"[٢٤] .

أما الإشارة الوحيدة الواضحة إلى سور مدينة ذمار فهي تلك التي أوردها عدد من المؤرخين، وتعود إلى سنة (٨٩٥ هـ)، حيث تشير المصادر التاريخية الاخبارية إلى أن أهل المدينة بنوا سوراً عظيماً حولها، بتوجيه ودعم من الإمام محمد بن علي السراجي الوشلي، غير أن السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب زحف إليها بقواته وحاصرها حصاراً شديداً، واقتحمت قواته المدينة بعد أن أخربت جزء من السور، وكان هدم السور هو الشرط الذي أشترطه السلطان الطاهري على أهلها حتى يمنحهم الأمان، فكان ذلك [٢٥].

ثم تتواصل الرواية السبئية للأحداث فتقول أن شمر ذو ريدان أصيب في المعركة وقتل فرسه المسمى : (وحاظ). بعد ذلك هاجمت القوات السبئية مدينة(زخنم) وقتلت حاميتها من حمير وردمان ومضحي ، أما الملك إل شرح يحضب و جنوده فقد عادوا إلى مدينة ترزنان بالسلامة والنصر العظيم على شمر ذو ريدان وأتباعه، والذين رفضوا التحدي بالخروج للقتال، وفضلوا التحصن وسط مدينة ذمار. وهنا نجد تأكيد على أن قوات الملك إل شرح لم تتمكن تحطيم تحصينات مدينة ذمار وحسم المعركة لصالحها، وفضلت التراجع عن حصار المدينة والانسحاب من حولها، في الوقت الذي ظل فيه شمر يهحمد ومن معه داخل حصنهم المنيع وسط مدينة ذمار.

وفي الحملة الثانية زحف – إل شرح يحضب وقواته – من مدينة نعض إلى بين المدينتين – هران وذمار –، ويبدو أن غريمه الريداني شمر يهحمد كان قد غادرها إلى مكان آخر قبل وصول القوات السبئية، لذلك أكتفت تلك القوات بالادعاء بأنها أصابت النصر وحصلت على الغنائم الوافرة دون ذكر لأي معارك مع حاميتي المدينتين أو مع سكانهما، ثم عادت إلى مدينة صنعاء.

و يتضح من خلال الأحداث المذكورة في النقشين (Ja 576; 577)، أن مدينة ذمار صمدت أمام القوات السبئية، ولم تنتهك حرمتها كما هو الحال في بقية المدن التي هاجمتها القوات السبئية ودمرتها ودفنت آبارها، الأمر الذي يؤكد قوة تحصيناتها الدفاعية، ومن المرجح أيضا أن وجود المياه بكثافة في قاع ذمار (وادي الجنات) أعاق حركة الخيالة والجنود السبئيين الذين هاجموا المدينة مع الملك إل شرح يحضب في القرن الثالث الميلادي، وأدى إلى فشلها في تحقيق النصر على قوات الملك الريداني حينذاك شمر يهحمد.

وفي العصر الإسلامي يمكن تتبع تاريخ مدينة ذمار منذ القرن الهجري الأول وحتى الوقت الحاضر، مع وجود بعض الفجوات المعرفية في بعض المراحل التاريخية. وعلى الرغم من وجود عدد كبير من الإشارات المتعلقة بذمار في المصادر الاخبارية إلا أنها غالباً ما تكون عابرة وغير مفيدة، مع أن هذا لا ينفي وجود بعض من تلك الإشارات ـ وإن كانت صغيرة ـ ذات الدلالات الواضحة. فذمار عند الهمداني ليست سوى قرية كبيرة جامعة، أي أنها لم تصل بعد إلى مصاف المدن الموجودة في عصره (القرن الرابع الهجري). وحينما ذكر أنها تحتوي من جملة ما تحتويه زروع وآبار مائها قريب من السطح بحيث يمكن تناوله باليد، كان يشير إلى غزارة المياه الجوفية في قاع ذمار، ويفسر ذلك الأسباب التي جعلت نمو ذمار بطيئاً للغاية، حيث يبدو أن غزارة المياه الجوفية كان عائقاً أمام التوسع في إنشاء المساكن والدور، والى نفس السبب يعزى الارتفاع الكبير في أساسات المباني الدينية المشيدة في العصر الإسلامي مثل الجامع الكبير (في القرن الأول الهجري)، والمدرسة الشمسية (٩٤٩ هـ). ونشير هنا إلى أن المياه الجوفية في مدينة ذمار ومحيطها لا تزال غزيرة حتى الآن وإن كان مستواها قد أنخفض عما كان عليه الحال في القرن الرابع الهجري.

ويبدو من خلال حصر عدد المرات التي دخلت فيها الجيوش المهاجمة دون عناء يذكر إلى مدينة ذمار، أن المدينة بالفعل كانت غير مسورة، حيث لم نقف على أي هزيمة للمهاجمين سواء كانوا جيوشاً أو عصابات [٢٦].

أما المقولة الشهيرة، لمن ملك ذمار ...... الخ، يمكن أن تعد في حال صحة نسبتها إلى وهب بن منبه الأبناوي، جزء من الصراع الخفي حيناً والمعلن أحياناً أخرى بين الأبناء وبقية القوى المحلية في مدينة ذمار، ونشير هنا إلى أن هذه المقولة تكررت بنفس الصيغة في عدد من المصادر الاخبارية، بعد استبدال كلمة ذمار بكلمة ظفار.

ومن خلال كل ما سبق يمكن القول أن الملك السبئي إل شرح يحضب، عاد من حول مدينة ذمار دون تحقيق هدفه الأساسي المتمثل في القضاء على الزعيم الريداني شمر يهحمد المتحصن بنجاح وسط المدينة. ولكن ما يهمنا منم تحليل المصادر النقشية هو أنها أكدت على ما يلي:

أولاً : أن مدينة ذمار القديمة تقع بالقرب من مدينة هران، ويفصل بينهما مساحة من الأرض سمحت بإقامة معسكر للقوات السبئية. ويستفاد من ذكر مدينة هران أولاً في النقش، بأنها كانت الأقرب بالنسبة للقوات السبئية الزاحفة من الشمال.

ثانياً : أن مدينة ذمار القديمة تقع في مكان عالي ومرتفع، الأمر الذي جعل الملك شمر يهحمد يتحصن بها ويستغني عن مدينة هران المجاورة والتي تشتمل على حصن منيع.

ثالثاً : أن مدينة ذمار القديمة كان لها مدخل يحتوي على باب يمكن إغلاقه، وهو ما يشير بالضرورة إلى وجود سور للمدينة. كان على درجة عالية من القوة والمناعة التي جعلت القوات السبئية تنسحب من حوله دون تحقيق غايتها.

رابعاً : أن مدينة ذمار القديمة كانت مقسمة إلى عدة أقسام، منها وسط المدينة الذي يعد أكثرها تحصيناً.

إذا حاولنا تطبيق ما سبق على مدينة ذمار الحالية، فإن كل ذلك لا ينطبق عليها باستثناء أولاً.

وأهم ما نستخلصه من المصادر الاخبارية العربية هو:

أولاً : أن مسجد ذمار شيد في القرن الأول الهجري.

ثانياً : أن ذمار في القرن الرابع الهجري لم تكن سوى قرية كبيرة.

ثالثاً : أن ذمار شيدت في موقع يتميز بارتفاع منسوب المياه الجوفية.

رابعاً : أن سور ذمار شيد في نهاية القرن التاسع، وهدم بعد إنشاءه مباشرة.

كل ذلك يتوافق مع وضع مدينة ذمار الحالية، الأمر الذي يستدل منه على أن مدينة ذمار المذكورة في النقوش، تختلف عن مدينة ذمار الحالية. لذلك كان من الضروري البحث عن موقع مدينة ذمار التي كانت قائمة قبل الإسلام. وبالتالي محاولة الإجابة على الاستفسارات التي سوف تظهر، وهي المتعلقة بأسباب اختفاء المدينة القديمة، وعوامل ظهور المدينة الحالية.

للإجابة على ذلك كان لأبد من البحث عن موقع مدينة ذمار القديمة في مكان لابد أنه قريب من مدينة هران، وفي نفس الوقت تنطبق عليه الأوصاف التي تم الحصول عليها من النقشان (Ja 576; 577)، ومنذ الوهلة الأولى صار الموقع المعروف حالياً باسم (ذمار القرن) هو المكان الأكثر واقعية كي يكون موقع مدينة ذمار القديمة. ولتأكيد – هذا الافتراض - تم زيارة الموقع عدة مرات بحثاً عن كل ما يمكن العثور عليه من أدلة أثرية، فضلاً عن أنه تم البحث في جملة من المصادر والمراجع التاريخية العربية والأجنبية التي تناولت موقع ذمار القرن، بحيث أسفر ذلك إلى ما يلي:

ذمار القرن.

تشير العديد من المراجع الحديثة إلى أن اسم ذمار القرن المتداول من زمان بعيد، قد أصبح في الفترة الأخيرة يدعى (قرن ذمار)[٢٧]، والفرق بين المسميين كبير. فاسم ذمار القرن يدل على أن اسم الموقع هو ذمار أضيف إليه كلمة القرن تمييزاً له عن موقع آخر اسمه ذمار أيضا، وتكرار أسماء الأماكن هو من الأمور الشائعة في اليمن، ومثال ذلك اسم ظفار الذي يطلق على العديد من الأماكن في اليمن، ويتم تمييز المكان المقصود بالحديث عنه بإضافة صفة أو اسم موقع مجاور إلى اسمه، من ذلك تمييز اسم العاصمة الريدانية ظفار وغيرها من الأماكن التي تحمل نفس الاسم بإضافة اسم مكان مجاور لها، فيقال ظفار منكث وظفار ذيبين وغير ذلك، ونفس الشيء عن شبام الغراس وشبام كوكبان وشبام حضرموت. وفي بعض الحالات يكون الاتجاه هو المميز للاسم، فيقال أفلح الشام وأفلح اليمن. أما اسم قرن ذمار فيدل على أن الموقع اسمه القرن ويعني الجبل والحصن، والقارن من الأماكن المرتفعة[٢٨]، وإضافة اسم ذمار إليه يفيد تبعيته لمدينة ذمار.

تقع ذمار القرن إلى الجنوب من مدينة ذمار الحالية، وتبعد عنها بمسافة (٤ كم) تقريباً، ويطلق الاسم على القرية الحديثة وعلى الجبل المجاور لها أيضا، والجبل عبارة عن مرتفع شبه مستوي في أعلاه، يمتد طولياً من الشرق إلى الغرب بمسافة تبلغ حوالي (٣٠٠ متر)، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أقصى عرض له يبلغ (٧٠ متراً)، وهناك امتداد للجبل نحو الشمال أقل ارتفاعا من بقية الجزء الشرقي والغربي، ويمتد هذا الجزء مسافة تقدر بـ (١٥٠ متر).

يمكن تقسيم الأجزاء العلوية من الجبل إلى ثلاثة أقسام وذلك على الشكل التالي : (خارطة ٢)

الأول : و يشمل النصف الشرقي من الجبل.

الثاني : و يشمل النصف الغربي من الجبل، وفيه شيدت مباني قرية ذمار القرن المستحدثة.

الثالث : و يشمل الجزء الأقل ارتفاعاً من الجبل والممتد نحو الشمال، ويمثل منطقة الوسط.

القسم الأول (النصف الشرقي):

المباني : يتميز بأنه يكاد يكون خالياً من المباني المستحدثة، على الرغم من أنه أكبر الأجزاء مساحة، ويتوسط النصف الشرقي بركة مياه محفورة في الصخر ومغطاة بطبقة من القضاض (لوحة ٢). وتنتشر على السطح أساسات لمباني مندرسة، تتميز بأنها شيدت بأحجار كبيرة وغير مهندمة. وفي أحد تلك الأساسات يمكن تميز مدخل لأحد المباني، ولكن من الصعب تتبع مسار البناء (لوحة ٣).

الفخار : تنتشر القطع الفخارية في معظم أجزاء النصف الشرقي من الموقع، وجميع القطع التي تم التقاطها من السطح تعود إلى عصر ما قبل الإسلام، ولم نلاحظ أي قطع فخارية من العصر الإسلامي.

السور : تظهر بجلاء بقايا السور القديم على حافة الجبل وخاصة في الجهة الجنوبية والشرقية، وقد كان يحيط بكل الموقع التي تحتاج إلى تسوير إضافي. وقد شيد السور بأحجار ضخمة غير مهندمة، أما الجهة الشمالية فهي شديدة الانحدار لذلك لا يوجد فيها تسوير إضافي. ويفصل الجزء الشرقي عن الجزء الغربي جدار سور مستحدث عليه ثلاثة أبراج دائرية شيّد في العصر الإسلامي.

المداخل : كان يتم الدخول إلى الجزء الشرقي من الموقع عبر بوابتين، الأولى، وهي الرئيس، تفتح على الجهة الشرقية، حيث لا تزال بقايا أحد جدرانها الجانبية ظاهرة للعيان. والجدار الآخر تم تدميره بواسطة الجرافات قبل حوالي عام من الآن، والبوابة الأخرى تفتح على الجهة الجنوبية من الموقع، ويمكن مشاهدة آثارها على السور ويدل حجمها الصغير على أنها كانت بوابة فرعية.

الطرق : لا يزال الطريق الرئيسي – نقيل - الموصل إلى الموقع بحالة سليمة ومدهشة في الجهة الشرقية، وهو عبارة عن ممر يصعد بشكل متعرج من أسفل الجبل حتى يصل إلى البوابة الرئيسية في الجهة الشرقية، يبلغ طوله حوالي (٢٠٠ متر)، ويتفاوت عرضه من مكان إلى آخر إذ يبلغ أقصى عرض له (٥) أمتار بينما أدنى عرض يبلغ (٣) أمتار، وقد شيد ورصف بأحجار مشذبة رصت جوار بعضها دون استخدام للمواد الرابطة (لوحة ٤)، وقد دمر الجزء الأسفل من النقيل منذ زمن قريب..

ويبدو أن اختيار الجهة الشرقية لإنشاء الطريق كان بسبب تضاريسها التي تسمح من خلال انحدارها غير الحاد بإنشاء الطريق، على عكس ما هو موجود في الجهات الأخرى. أما البوابة الجنوبية فمن الصعب الاستدلال على الطريق الذي لا بد أنه كان يصل إليها، فقد انتهت آثاره نتيجة للانحدار.

برج الحراسة (المحفد) : شيد برج الحراسة (المحفد) مستقلاً عن جدار السور وعلى مقربة من البوابة الرئيسية ويشرف على الجهتين الشرقية والشمالية، وقد شيد بشكل مربع طول ضلعه (٥ أمتار)، وارتفاع ما تبقى من البناء (٢.٥ متر) تمثل أربعة صفوف من الحجارة الضخمة، شيدت بأسلوب البناء المتدرج، وعلى الرغم من هذا الارتفاع لا يوجد أثر يدل على مدخل المحفد، وقد دفنت المساحة المربعة التي يشكلها البناء بالتراب، بعد أن قسمت إلى نصفين بواسطة جدار داخلي صغير.

المقابر الصخرية : إضافة إلى ما سبق يوجد مقبرتان صخريتان متجاورتان في منحدر الجزء الشرقي، تفتح كل بوابة نحو الشمال بباب مستطيل الشكل(لوحة ٥)، المقبرة الأولى تعرض بابها للتوسيع في الجزء العلوي منه، وهي من الداخل عبارة عن مساحة مستطيلة يبلغ طولها (٦ أمتار) وعرضها (متر واحد)، وفي كل جانب يوجد كوتان، عمق كل كوة (٨٠ سم)، وإمام المدخل يوجد كوة واحدة. ترتفع تلك الكوات عن مستوى الصلل التي تغطي الجزء السفلي من المقبرة بحوالي (٩٠ سم)، وأرضية المقبرة بكاملها محفورة نحو الأسفل بعمق نتبين منه حوالي (٢ متر) (لوحة ٦)، والباقي مدفون بالأحجار والأتربة، وقد غطيت بأحجار مستطيلة (صلل) بعضها مفقود حالياً. أما المقبرة الثانية فتقع إلى الشرق من الأولى، ولا تختلف عنها سوى في بعض التفاصيل البسيطة. حيث نجد أمام المدخل كوتين فوق بعضهما، الكوة العلوية حفر في أحد جوانبها كوة إضافية، والى جانب ذلك نجد أرضية المقبرة الثانية مدفونة بالأتربة. وقبل حوالي العام دمرت مقبرة ثالثة كانت موجودة أسفل المقبرتين، وذلك عند شق طريق حديث إلى أعلى الموقع، وتظهر على جدران المقبرتان طبقة سوداء من السناج، مما يدل على أنهما استخدمتا للسكن في عصور متأخرة.

القسم الثاني (النصف الغربي):

يعد سطح النصف الغربي أكثر أجزاء الجبل وعورة، ويتميز بسطح غير مستوي، إذ ينخفض في الوسط ويرتفع في الجانبين الغربي والشرقي، وهذا الجزء من الجبل أشد الأجزاء المحصنة طبيعياً، فالمنحدرات السحيقة تحيط به من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية. وفي هذا الجزء من الموقع نشأت قرية ذمار القرن الحديثة.

المباني : تتميز المباني بطابع إسلامي واضح، وقد استخدم في بنائها الأحجار الأثرية التي كانت جزء من مباني قديمة، على نطاق واسع، ويمكن تمييز الأحجار التي تعود إلى مباني قديمة بسهولة، حيث أنها تتسم بحجمها الكبير نسبياً والدرجة العالية من الصقل، كما لا تختلف من حيث الحجم والشكل عن تلك الأحجار التي نجدها في المواقع الأثرية الأخرى التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام. ويكاد لا يخلو منزل من تلك الأحجار، بل أن بعض المنازل تصل نسبة الأحجار القديمة المستخدمة في بنائه إلى (٥٠ %). حيث نجد الأعتاب والمرادم وبقايا الأعمدة المربعة والدائرية على جدران المباني، وقد نزح سكان القرية منها بعد زلزال ١٩٨٢م، حيث شيدوا لهم مساكن جديدة أسفل الجبل في المساحة المستوية الوقعة إلى الغرب من الموقع القديم، بالقرب من الطريق الإسفلتي الذي يربط العاصمة صنعاء بمدينة تعز.

السور : أحيطت القرية الحديثة بسور يتداخل مع الجدران الخارجية للمنازل ويظهر بشكل واضح في الجهة الشرقية حيث توجد نقطة الضعف الوحيدة(لوحة ٧)، وفي الجهة الجنوبية يمكن ملاحظة أن السور الجديد شيد فوق أساسات السور القديم(لوحة ٨)، وكما هو الحال في بناء المساكن فقد شيد السور بعدد كبير من الأحجار الأثرية. ويحتوي السور المستحدث على عدد من الأبراج الدائرية الشكل، وفي كل برج عدة فتحات (مزاغل) لرمي السهام أو غيرها. وتقع البوابة الرئيسية للسور في الجهة الشمالية وتؤدي إلى داخل القرية، ويتقدمها برج متصل بالسور يحجب الرؤية عن القادمين إليها، ولا يوجد دليل على وجود بوابة أخرى.

خزانات المياه : يوجد في الجهة الغربية داخل السور بركتان لتجميع مياه الأمطار، محفورتان في الصخر، الكبيرة منهما تقع جوار البوابة والصغيرة بالقرب منها ملحقة بمسجد القرية الصغير. وعلى المنحدر الشمالي خارج السور يوجد خزان آخر للمياه يسمى حالياً (ماجل الدنان)، حفر في الصخر أيضاً، يتم الدخول إليه بواسطة مدخل صغير له درج، وفي الجدار الداخلي للماجل يمكن بصعوبة مشاهدة سطر من الكتابة بخط المسند الغائر، يتكون من سبعة أحرف، ويبلغ طولها (٣٥ سم)، أما ارتفاع الحروف فهو حسب التسلسل (١٢- ٢٠- ١٩- ٩ – ٢٥- ١٠- ١٣) سم، كتب حرف (د) مقلوباً، ونصها هو :

و د م / خ أ ب م

وقد فشلت محاولة الحصول على صورة واضحة للنقش بسبب الظلام الموجود داخل الماجل(لوحة ٩). ويبدو أن حرف (خ) أضيف بعد كتابة النص الأصلي للنقش وهو، (ودم أبم)، والذي يمثل تعويذه تنتشر بكثرة في كثير من المواقع الأثرية.

وقد ذكر أحد الموطنين بأنه يوجد أربعة مسامير من النحاس الأحمر مثبتة في أرضية الماجل والمدفونة حالياً بطبقة من التربة الطينية، ولم نتمكن من التحقق من صحة ذلك.

القسم الثالث (الامتداد الشمالي – منطقة الوسط) :

عبارة عن مساحة منبسطة من الأرض، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي (١٥٠ متر)، تنتهي بانحدارات شديدة في جهاتها الشمالية والغربية، وأقل من ذلك في الجهة الشرقية أما الجهة الجنوبية فهي متصلة بالجبل. وفي هذا القسم يوجد حالياً عدد قليل من المنازل الكبيرة الحجم والمهجورة كغيرها منذ عام ١٩٨٢م، ونشير هنا إلى أن هذا القسم من الجبل يقع خارج نطاق السور المستحدث.

المباني : يتميز هذا الجزء بطابع خاص، يمكن ملاحظته من خلال جدران المباني الموجودة فيه، وأهمها على هو مبنى تم تشيده فوق أساس مبنى حميري قديم، لا تزال أربعة صفوف من أحجاره ظاهرة إلى اليوم بوضوح تام في الجدار الشمالي والجدار الغربي، ويعلوها ثلاثة صفوف أخرى أجزاء منها لا تزال بوضعها الأصلي فيما تم ترميم أجزائها الأخرى بأحجار قديمة عند إعادة البناء. وتتميز أحجار الصفوف الأربعة السفلية من المبنى بأنها مصقولة بدرجة عالية من العناية والإتقان، وبأسلوب البناء المتدرج. (اللوحات ١٠، ١١، ١٢). كما تتميز المباني المجاورة بارتفاع نسبة الأحجار القديمة المستخدمة في بنائها، حتى أنها تصل في بعض المباني إلى أكثر من (٨٠ %) من الأحجار(لوحة ١٣).

خزان المياه (ماجل) : منذ وقت قريب تم الكشف بالصدفة عن خزان صغير للمياه منقور في الصخر على المنحدر الشمالي، يتميز بوجود فتحة صغيرة في جداره الداخلي، كان الماء يدخل إلى الخزان عبرها، ويحتمل أنه كان من ضمن المنشآت المائية التي كانت تخدم سكان الموقع.

السور : لا يوجد حالياً على حافة هذا الامتداد أي آثار للسور القديم، ولكن يوجد في الانحدار الواقع بين هذا الامتداد والنصف الشرقي من الجبل، جزء من سور قديم شيد بأحجار مهندمة وبأسلوب البناء المتدرج. ومن الواضح من شكل البناء أنه شيد بعد فترة من بناء السور الذي يحيط بأعلى الجبل، ويبدو أن الهدف منه كان التحصين الإضافي للجهة الشمالية. وتدل طريقة البناء على أن بانيه كان يتمتع بإمكانيات مادية كبيرة. مكنته من بنائه بطريقة محكمة، ويستدل أيضا من هذا الجزء من السور على أن الموقع كان يحتوي على عدة أسوار، وخاصة في الجهة الشمالية.

وفي المصادر الاخبارية العربية نجد الإشارة الوحيدة لذمار القرن بهذا الاسم هي التي جاء بها الهمداني في الصفة حيث قال : " وذمار القرن قرية قديمة خراب، وأما ذمار المخدر فغيرها"(٢٩). وقد علق القاضي محمد بن علي الأكوع محقق كتاب الصفة على ذلك وذكر أن ذمار القرن " أعمر ما تكون بنياناً وأوفر سكاناً لاسيما حصنها المسمى القرن"(٣٠)، غير أن الحال قد تغير جذرياً الآن، حيث عاد الخراب إليها من جديد، وصارت جميع مبانيها مهدمة كلياً أو جزئياً.

وبعد زمن الهمداني تصمت المصادر التاريخية الاخبارية تماماً عن ذكر ذمار القرن، واستمر ذلك الصمت حتى العصر الحديث حين ذكرها الحجري الذي سماها قرن ذمار وقال عنها "قرن ذمار قرية بالجنوب من مدينة ذمار وتبعد عنها نحو ميلين"[٣١]. ومن بعده قال عنها السياغي "وفي المحل المسمى قرن ذمار آثار حميرية"(٣٢)، وفي موضع آخر يقول "وفي ذمار القرن معدن نحاس أحمر جيد"[٣٣]. وربما أن ذكره لمعدن النحاس الأحمر علاقة بالأربعة المسامير التي أشرنا إليها سابقاً.

إن تحليل المعطيات الأثرية عن ذمار القرن يؤكد على أن هذا الموقع كان أحد المواقع الريدانية الهامة، وذلك واضح من خلال التحصينات الكبيرة التي أحيط بها الموقع، وقد شيدت تلك التحصينات على مرحلتين، الأولى هي التي نجدها في الحافة العليا للجبل، وتتميز بأحجارها الكبيرة غير المهندمة، والثانية هي تلك التي نجدها في المنحدر الشمالي، والتي تتميز بأحجارها المهندمة وطريقة بنائها المتدرج. كما أن الموقع في مجمله يتوافق تماماً مع المواقع الريدانية الأخرى وخاصة من حيث التضاريس وطريقة البناء والتحصينات الإضافية. كما أن حجم الموقع يتناسب مع الحجم المعتاد للمدن الريدانية. ونعتقد أن وجود آثار لمباني فخمة يعطي تأكيداً إضافياً على أهمية الموقع.

و من المرجح أن يكون الطريق الصاعد – نقيل – الموجود في الجهة الشرقية من ذمار القرن، هو المقصود بـ [م ن ق ل ن/ ذ] ذ م ر م) في النقش (Masnaᶜat Māriya /5)(٣٤)، من عهد الملك ثأران يهنعم ملك سبأ وذي ريدان والمؤرخ بسنة (٣١٩ م) تقريباً. وإذا ما تأكد ذلك، سيكون من السهل فيما بعد القول بأن موقع ذمار القرن هو نفسه موقع مدينة ذمار المذكورة في نقشي جام (Ja 576, 577).

كما أن آثار المباني الموجودة في الامتداد الشمالي، والذي يعد الجزء الأوسط من موقع ذمار القرن المذكور في النقشين (Ja 576, 577)، تؤكد خصوصية هذا الجزء، إذ من المرجح أن تكون الأساسات الحميرية الباقية في المبنى المشار إلية سابقاً، أجزاء من القصر الذي سكنه الملك شمر يهحمد عندما تعرض للحصار من قبل الملك السبئي إل شرح يحضب، وأتباعه في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي. بدليل وجود آثار لمباني لا يمكن أن تكون إلا مباني حميرية خاصة بشخصيات كبيرة في الدولة الحميرية.

إن موقع ذمار القرن بطبيعته الجغرافية وتحصيناته الإضافية مؤهلاً بدرجة كبيرة ليكون موقع لأحد المدن القديمة. وعلى الرغم من أن الإشارة التي جاء بها الهمداني عن ذمار القرن مقتضبة كثيراً، إلا أنها تحمل أكثر من دلالة تاريخية وأثرية، من ذلك أن اسم الموقع في عصره هو ذمار وليس شيء آخر، وهناك دلالة أخرى لها أهميتها الخاصة وهي وجود أكثر من مكان يسمى ذمار، الأمر الذي أدى إلى تمييز الأول بإضافة كلمة (القرن) بعد اسمه، أما الآخر فقد تم تمييزه بإضافة كلمة (المخدر) بعد اسمه، لذلك جاءت جملة الهمداني (وأما ذمار المخدر فغيرها) لإزالة أي التباس في اسم الموضعين. وعن ذمار المخدر قال الأكوع عند تحقيقه للصفة "هي اليوم خراب يباب وتقع في الشمال الغربي من ذمار بمسافة أربعة أميال وفيها وفي ذمار القرن آثار حميرية)(٣٥). وأهم ما في إشارة الهمداني هو قوله أن ذمار القرن في عصره كانت قرية قديمة خراب، فقوله هذا يعني لنا الكثير، ومما يعنيه أن القرية قديمة وبعبارة أخرى أن قرية ذمار القرن تعود إلى عصر ما قبل الإسلام.

وبذلك نستطيع أن نقول أن الموقع المعروف حالياً باسم ذمار القرن، هو موقع مدينة ذمار القديمة. ويؤيد ذلك خاصة ما يلي:

أولاً : أن الموقع قريب من مدينة هران.

ثانياً : أن الموقع موجود في مكان مرتفع.

ثالثاً : أن الموقع له سور وبوابة رئيسية.

رابعاً : أن الموقع يمكن تقسيمه إلى ثلاثة مناطق، أهمها هو الوسط.

إن تحليل المعطيات الأثرية والاخبارية عن ذمار القرن تشير إلى أن ما يعرف حالياً بذمار القرن هو موقع مدينة ذمار القديمة، ويؤيد ذلك المعطيات المستخلصة من النقشين (Ja 576; 577)، والتي تنطبق تماماً على موقع ذمار القرن، في الوقت الذي لا تنطبق على موقع مدينة ذمار الحالية.

ولكن القول بأن ذمار القرن هو موقع مدينة ذمار القديمة، يضع أمامنا عدة أسئلة هي : متى انتهت مدينة ذمار القديمة، ومتى نشأت مدينة ذمار الحديثة، ومتى عادت المدينة القديمة للظهور.

للإجابة على ذلك يمكن القول أن هناك احتمالين لنهاية مدينة ذمار القديمة، الأول هو أنها دمرت على يد الأحباش حينما احتلوا اليمن (٥٢٥ م) تقريباً، حيث يبدو أن الأحباش بعد أن اتخذوا من صنعاء عاصمة لهم، حرصوا على تدمير المدن الريدانية المحصنة ليتمكنوا من فرض سيطرتهم عليها، ولمنع القوى اليمنية عامة والريدانية خاصة من استغلال التحصينات الموجودة في تلك المدن في مقاومة الاحتلال. والاحتمال الثاني هو أن المدينة دمرت قبل دخول الأحباش إلى اليمن بفترة قصيرة، بفعل سلسلة من الهزات الزلزالية المتتالية التي ربما أنها ضربت المنطقة الريدانية في سنة (٥١٦ م)، ودمرت مدينة ذمار إلى جانب عدد من المراكز الريدانية الأخرى، وذلك في عهد الملك معد كرب يعفر، ونشير هنا إلى أن الاحتمال الثاني يُنمى حالياً من قبل المركز الوطني للرصد الزلزالي بذمار[٣٦].

أما ظهور المدينة الجديدة فيبدو أنه كان في بداية القرن السابع الميلادي، حيث مثل مسجد ذمار النواة الأولى للمدينة الجديدة ومن حوله نمت وتوسعت المباني، وينسب بناء المسجد إلى الصحابي دحية الكلبي، وهناك تشكيك في ذلك[٣٧]، وقد ذكر الرازي أنه بني بعد مسجد صنعاء بأربعين يوماً[٣٨]. وترجح بعض الدراسات الحديثة أن معاذ بن جبل هو من بنى مسجد ذمار عندما مر بها في طريقه إلى الجند[٣٩]، ومن المرجح أن الجامع بنيٍ بأحجار منقولة من المدينة القديمة (ذمار القرن)، حيث أنها أقرب مصدر متاح للحصول على أحجار البناء سواءً الجاهزة أو المقتطعة من صخور الجبل، وقد استثنينا إمكانية الحصول على الأحجار من جبل هران كونه كان مسكوناً حينذاك. ويبدو أن نقل الأحجار الأثرية من ذمار القرن إلى مدينة ذمار الحالية، لم يتوقف إلا بعد أن عاد الناس للسكن في ذمار القرن من جديد.

واختيار ذلك الموقع لإنشاء مدينة ذمار الجديدة، يتوافق مع الاتجاه الذي تم به بناء عدد من المدن الإسلامية الجديدة، مثل الكوفة في العراق والفسطاط في مصر وكذا الجند في اليمن، وإلى حد ما مدينة زبيد في تهامة اليمن. ويعتمد الاتجاه الجديد على اختيار قيعان زراعية واسعة غزيرة المياه لإقامة المدن الجديدة، ولم يكن الهدف من ذلك السيطرة على الأراضي الزراعية فقط، بل هناك هدف أبعد يتمثل في إنشاء مدن إسلامية خالصة يسكنها المسلمين فقط. وخلال مراحل تاريخها وتوسعت المدينة الجديدة حتى صارت في الزمن الحاضر عاصمة المحافظة. وفي ظل التوسع المستمر لمدينة ذمار، سوف يصل عمرانها قريباً إلى قرية ذمار القرن بل ويتجاوزها. ويصبح مثل مدينة ذمار القديمة بالنسبة لمدينة ذمار الجديدة، كمثل مدينة شعوب القديمة بالنسبة لمدينة صنعاء.

ومعظم الأحجار التي نقلت، استخدمت في بناء المنشآت الدينية، وهي : الجامع الكبير (القرن الأول الهجري)، مسجد الإمام يحيى بن حمزة (القرن الثمن الهجري)، مسجد الإمام المطهر بن سليمان (ت : ٨٧٩ هـ)، (القرن التاسع الهجري)، جامع المدرسة الشمسية (القرن العاشر الهجري)، توسعة الجزء الغربي وعمارة مئذنة الجامع الكبير على يد الأمير محمد بن الحسن في سنة (١٠٥٧ هـ)، في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم [٤٠].

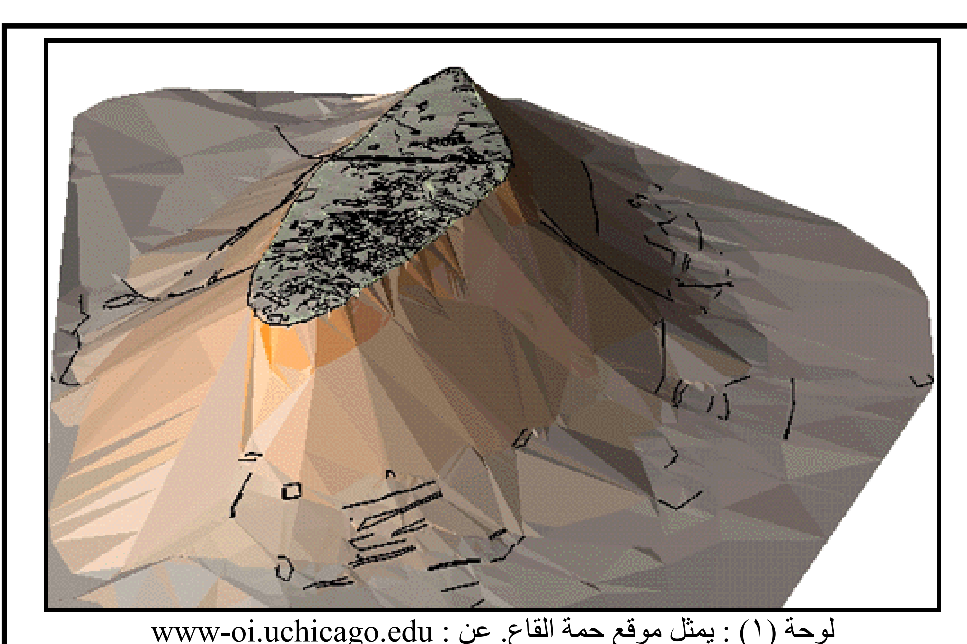
أما متى عادت المدينة القديمة للظهور، فيحتاج إلى بحث خاص وواسع في المصادر الإسلامية المدونة بعد عصر الهمداني، أي بعد منتصف القرن الرابع الهجري. ويكفي هنا الإشارة إلى أن مئذنة الجامع الكبير بذمار تحتوي على نقشين بخط المسند، من المرجح أن مصدرهما هو مدينة ذمار القديمة – ذمار القرن حالياً-، وقد بنيت المئذنة في القرن الحادي عشر الهجري، في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل[٤١]. ويعني ذلك أن أحجار المدينة القديمة كانت حتى ذلك الوقت تنقل إلى مدينة ذمار الحالية، مما يدل على أنها كانت لا تزال خراب حسب وصف الهمداني.

ومن خلال معاينة محيط مدينة ذمار القديمة (ذمار القرن حالياً) من أعلى، سنجد أنه يمكن مشاهدة عدد من المدن الريدانية الهامة بوضوح تام، تلك المدن هي : في الغرب مدينة سمعان (مصنعة مارية حالياً) التي تبعد عن

ذمار بحوالي (١٥ كم)، وفي الشمال مدينة هران المجاورة والتي تبعد عن ذمار القديمة بحوالي (٤ كم)، وأيضاً (رخمة) في الشمال الشرقي والتي تمثل مدينة ريدانية لا يعرف أسمها القديم حتى الآن، وتبعد عن ذمار حوالي (١٠ كم)، والى الشرق يمكن مشاهدة سلسلة من الجبال على قمة إحداها توجد مدينة (هكر) التي تبعد عن (١٦ كم) تقريباً.

وبذلك يمكن أن نتلمس بعض من الفلسفة الخاصة بإنشاء المدن الريدانية، والتي يغلب عليها طابع التحصين الدفاعي الشديد، والناتج عن وجود هاجس أمني لدى الريدانيين، إذ نلاحظ أن الريدانيين شيدوا جميع مدنهم على مرتفعات جبلية مستفيدين من التحصينات الطبيعية الموجودة في تلك الجبال، وشيدت أهم تلك المدن بشكل سلاسل تتجه من الشرق إلى الغرب وبمسافات متقاربة نسبياً، بحيث صارت المدن (بينون – يكلى - بوسان - تعرمان – يكار – ضاف)، خط الدفاع الأول المواجه للمدن االسبئية (صنعاء - نعض – غيمان)، والمسافة الفاصلة بين هذه المدن تقدر بحوالي (٥٠ كم)، وإلى الجنوب من مدن خط الدفاع الريداني الأول بمسافة تقدر أيضا بحوالي (٥٠ كم)، شيدت المدن (هكر - ذمار – سمعان)، لتمثل خط الدفاع الثاني لمواجهة الاختراقات السبئية – وما أكثرها – لمدن الخط الأول. وفي حال اختراق مدن الخط الثاني من قبل السبئيين لن يتبق أمامهم سوى مواجهة القوات المدافعة عن العاصمة الريدانية ظفار، التي تبعد عن خط الدفاع الثاني بنفس المسافة السابقة وهي حوالي (٥٠ كم) جنوباً. والمعروف عن العاصمة الريدانية أنها شيدت فوق جبل مرتفع ويحيط به من جميع الجوانب مجموعة أخرى من الجبال، مثلت جميعها خط الدفاع الأخير عن العاصمة.

اللوحات :



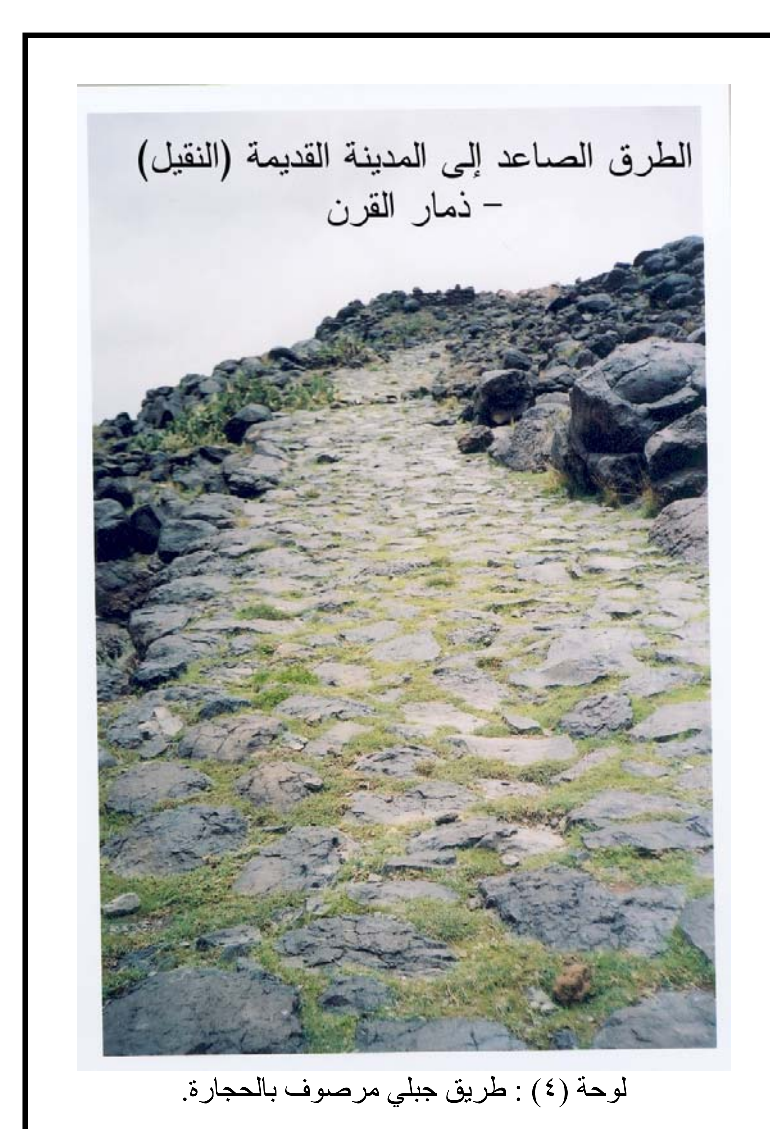
لوحة (١) : يمثل موقع حمة القاع. عن : www-oi.uchicago.edu



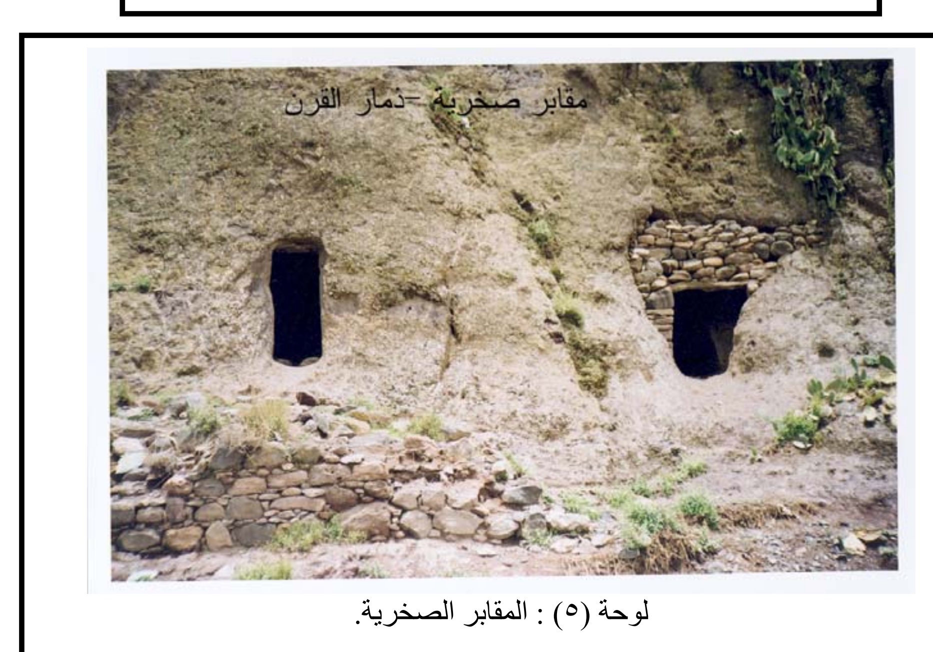
لوحة (٢) : خزان مياه وسط الجزء الشرقى.



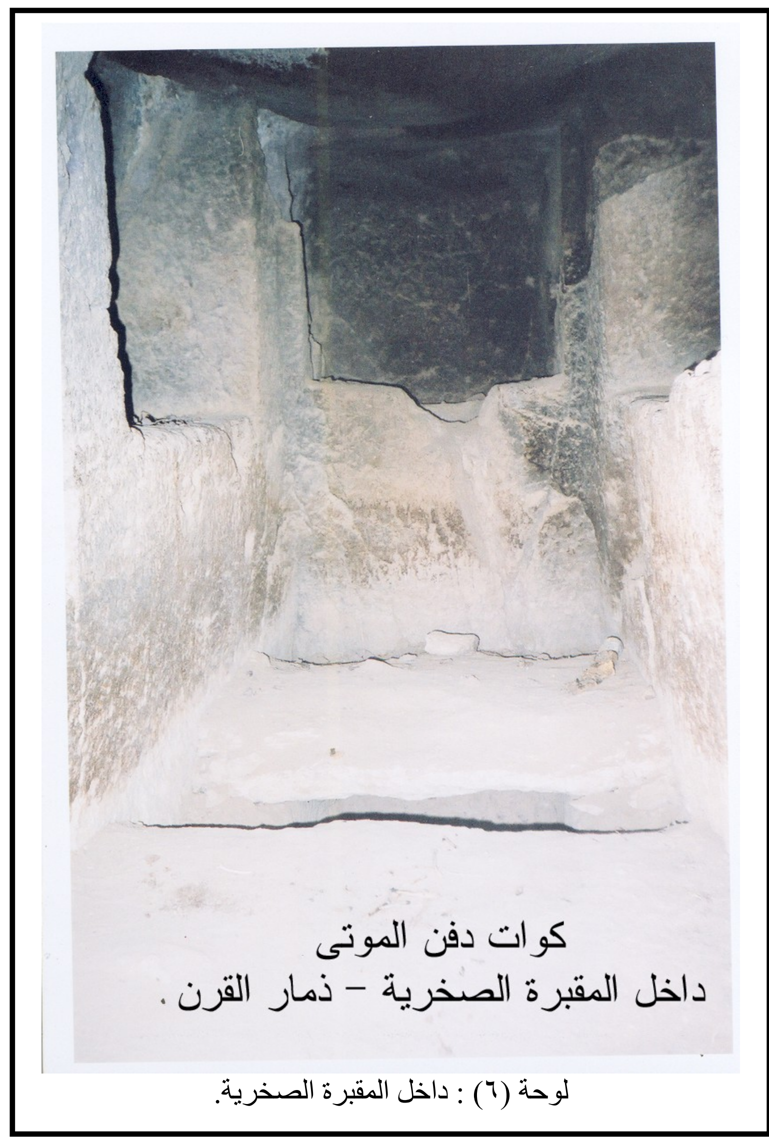
لوحة (٣) : بقايا مبنى في الجزء الشرقي.



لوحة (٤) : طريق جبلي مرصوف بالحجارة.



لوحة (٥) : المقابر الصخرية.



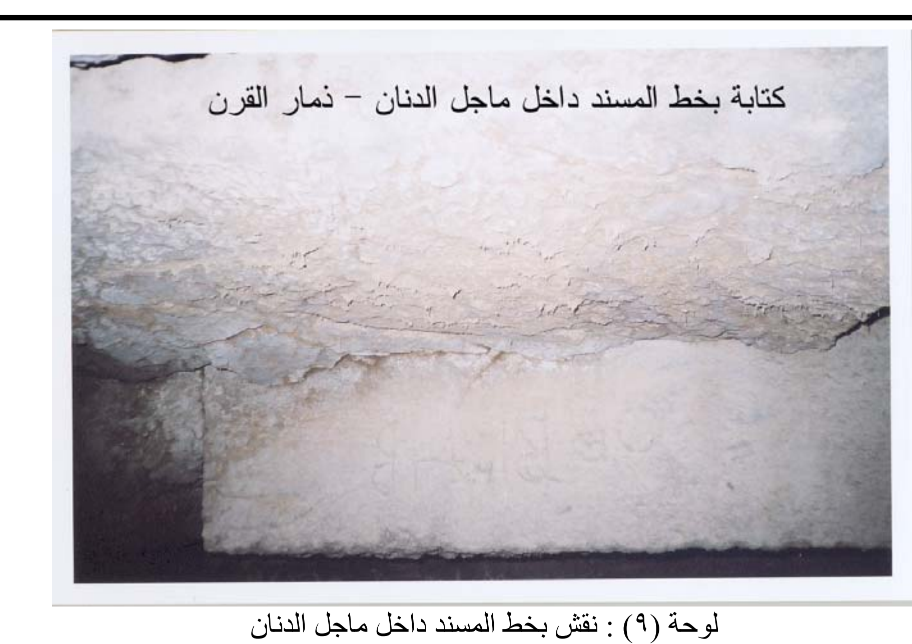
لوحة (٦) : داخل المقبرة الصخرية.



لوحة (٧) : الجدار الشرقى من السور المستحدث.



لوحة (٨) : سور قديم عليه سور أحدث.



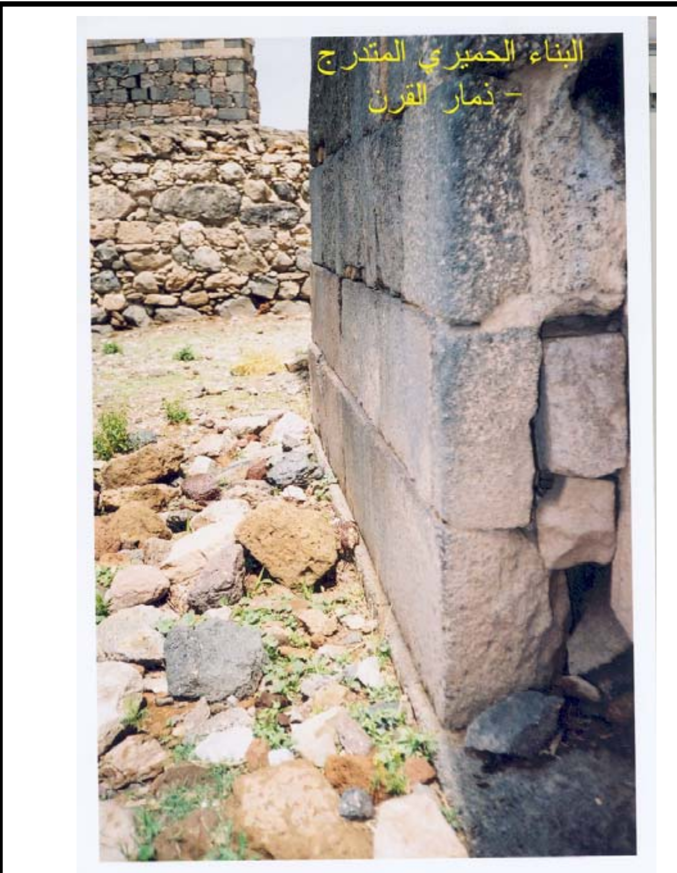
لوحة (٩) : نقش بخط المسند داخل ماجل الدنان



لوحة (١٠) : أساسات مبنى قديم عليه مبنى حديث.



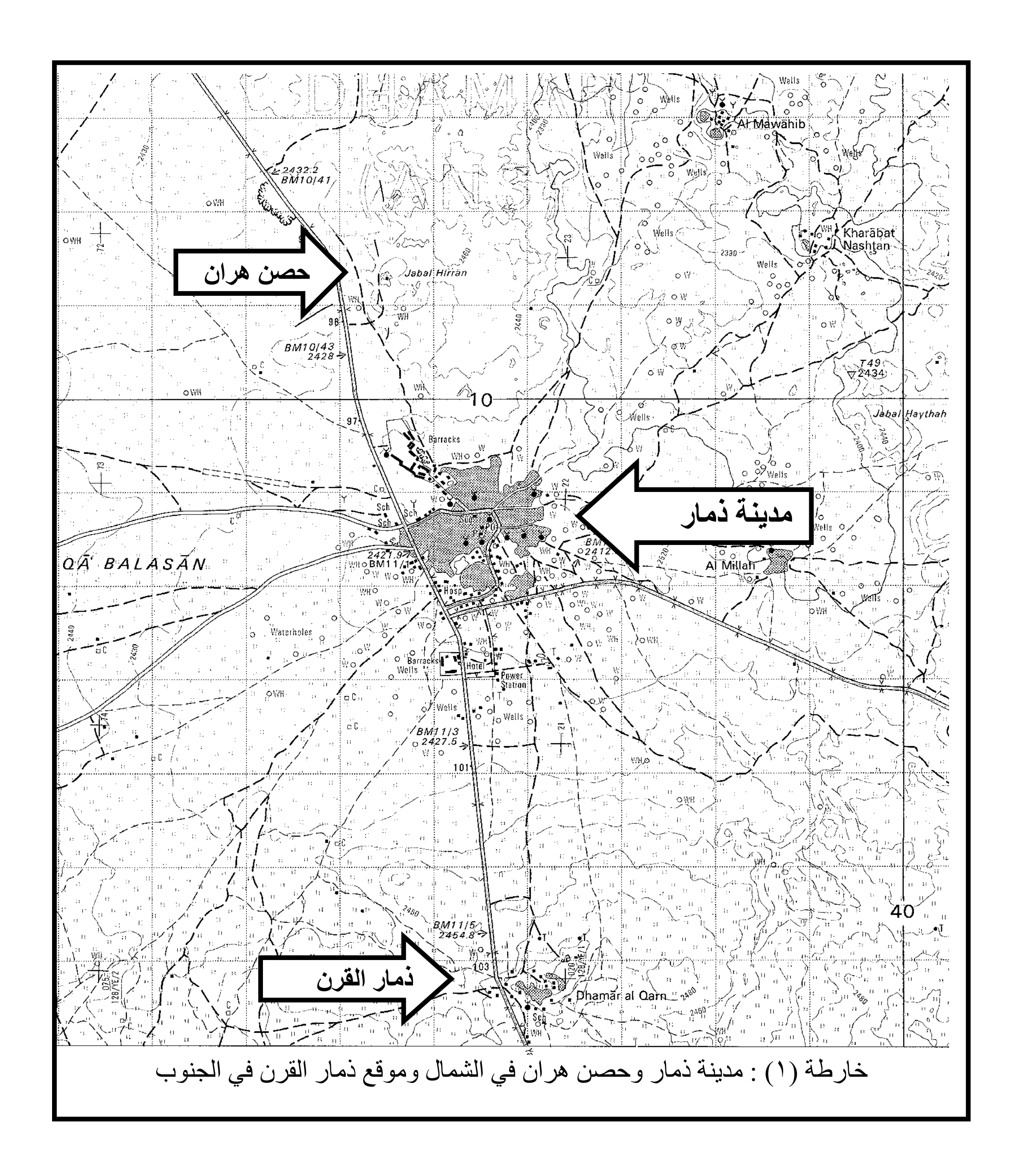
لوحة (١١) : أساسات مبنى قديم عليه مبنى حديث.



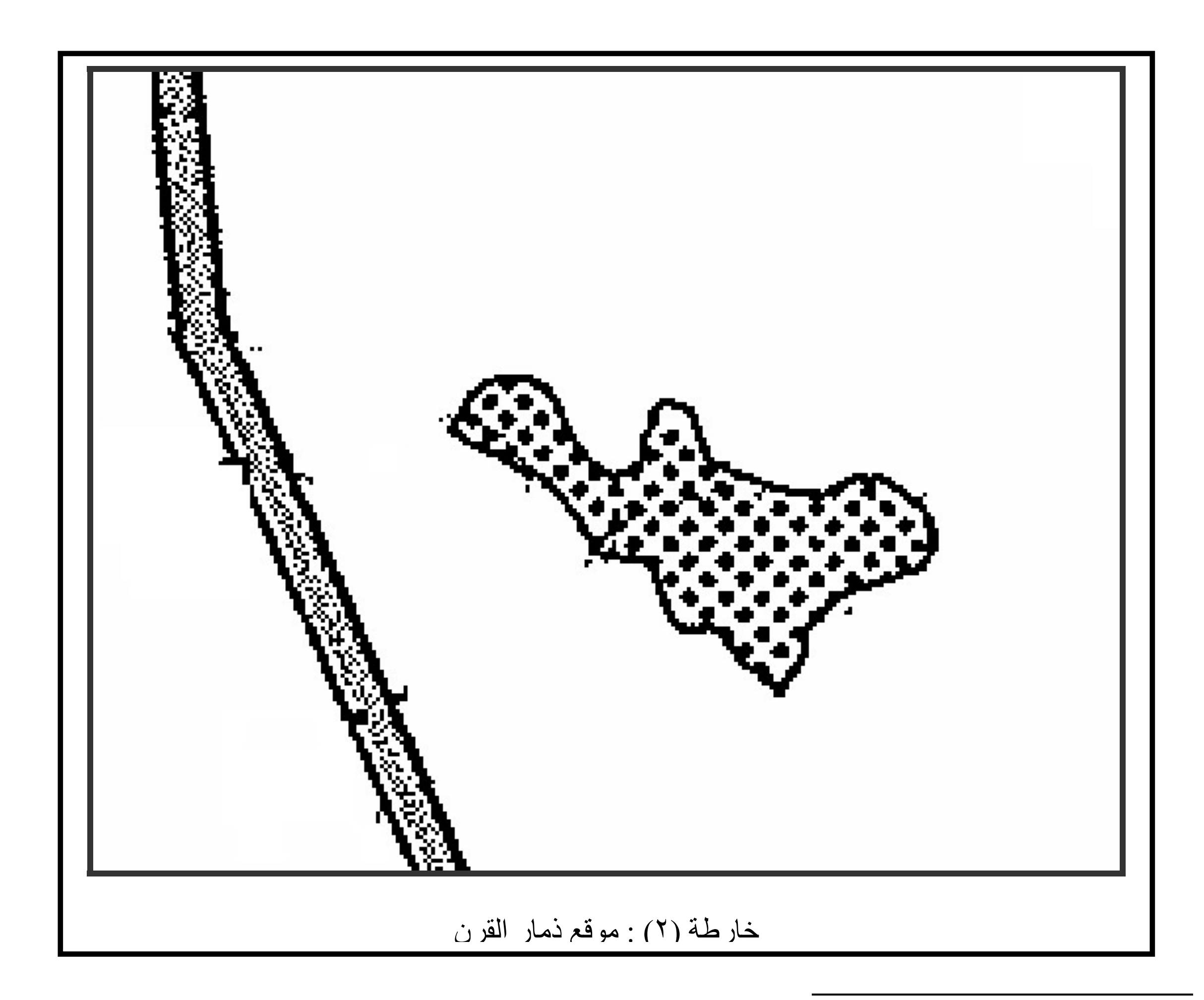
لوحة (١٢) : أساسات مبنى قديم عليه مبنى حديث.



لوحة (١٣) :



خارطة (١) : مدينة ذمار وحصن هران في الشمال وموقع ذمار القرن في الجنوب



خار طة (٢) : مو قع ذمار القر ن

١ - الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، باب الذال والراء والميم.
٢ - الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، دار الكتاب العربي، القاهرة، د. ت، ص ٦٦٥.
٣ - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: المقاييس في اللغة ، ....
٤ - البكري، عبد ا بن عبد العزيز بن محمد : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الذال والميم.
٥ - ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم : النهاية في غريب الحديث والأثر، ط١، ج ٢، تحقيق محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٣، ص ١٦٨.
٦ - الحموي، ياقوت بن عبد ا : معجم البلدان ، ....
٧ - ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، المؤسسة المصرية للتأليف والانباء والنشر، د. ت، فصل الذال باب الراء.
٨ - الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى : تاج العروس من جوهر القاموس، ج ٦، دار الفكر بيروت، ١٩٩٤، باب الراء فصل الذال.
٩ - Al- Sheiba, A. H: Die Ortsnaman in dan alt Sudarabischen Inschriften, *Archaologische Berichte Aus Dem Yemen,* Band IV, Mainz, 1987, p.29.
١٠ - Abdullaah, Y: *Die Personennamen in al- Hamdani's al- Iklil and ihre perallelen in den alt sudarabischen inschriften*. Ph : 1. Diss: Tubingen. 1975, p. 100.
١١ - Robin, ch: L'Inscription Ir40 De Bayt Db'an, Et La Tribu Dmry, *Sayhad'ca*, Sana'a, Centre Francais d'Études yéménites-Centre yéménite d'Études et de Recherches, 1987, pp.113-155.
١٢ - عن المدن المذكورة انظر: Al- Sheiba, A. H: Die Ortsnaman …. Mainz, 1987, pp.19, 29, 30, 57, 59.
١٣ - الدوري، عبد العزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط٢ ، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٢٩.
١٤ - ابن هشام، عبد الملك: التيجان في ملوك حمير، رواية وهب بن منبه، تحقيق ونشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م، ص ١٥٦.
١٥ - الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء،١٩٩٠م،ص٢٠٦.
١٦ - الهمداني، الحسن بن أحمد: الاكليل، ج٨ ، حرره وعلق عليه نبيه أمين فارس، دار العودة ، بيروت، د.ت، ص ١٥٦.
١٧ - الرازي، أحمد بن عبد ا بن محمد: تاريخ مدينة صنعاء، ط ٣، تحقيق حسين بن عبد ا العمري، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٩م ، ص ١٣٩.
١٨ - الحميري، نشوان بن سعيد: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج١، تحقيق، حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق،، ١٩٩٩م، صفحة (ص).
١٩ - الحميري ، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد، وإسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة ، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٥-٦.

٢٠ - الشيبة، عبد ا حسن، الهجر- المدينة في اليمن القديم، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ط١، مكتبة الوعي الثوري، تعز٢٠٠٠م، ص١٩٩.

٢١ - ايدينز، كريستوفر؛ وويلكنسون، ت، ج: جنوب شبه الجزيرة في العصر الجيولوجي الحديث (الهولوسين) : الأكتشافات الأثرية الأخيرة، دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات أمريكية وكندية)، ترجمة محمود الخالصي، المركز الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء ٢٠٠١، ص ٣٠.

٢٢ - ايدينز، كريستوفر؛ وويلكنسون، ت، ج: جنوب شبه الجزيرة ....، ص ٣٠-٣١.

٢٣ - ويلكنسون، ت، ج؛ غيبسن، م: آثار المرتفعات اليمنية، تسلسل زمني تمهيدي، المرجع السابق، ص ١١٥-١١٦.

٢٤ - ابن المجاور، جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب:صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة تاريخ المستبصر لابن المجاور، ط ٢، اعتنى بتصحيحها أوسكر لوفغرين، منشورات المدينة، بيروت، ١٩٨٦ م، ص ١٩٠.

٢٥ - ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م، ص١٨١-١٨٢؛ ابن القاسم، يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج ٢، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٦١٨.

٢٦ - لمزيد من التفاصيل انظر مثلاً: الخزرجي، علي بن الحسن: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط ٢، عني بتصحيحه ، محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اتليمني، صنعاء ١٩٨٣م؛ ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي: الفضل المزيد ... ١٩٨٣م؛ ابن القاسم، يحيى بن الحسين: غاية الأماني .... ١٩٦٨م؛ الوزير، عبد ا بن علي: طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٥م؛ أبو طالب ، محسن بن الحسين بن القاسم: تاريخ اليمن عصر الإستقلال عن الحكم العثماني الأول من سنة ١٠٥٦ إلى سنة ١١٦٠هـ، تحقيق عبد ا الحبشي، مطابع المفضل للاوفست ، صنعاء، ١٩٩٠م، وغيرها.

٢٧ - الحجري ، محمد أحمد : مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج ٢، ص ٦٥٢ ؛ السياغي، حسين أحمد: معالم الآثار اليمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٠م، ص٨٣. الموسوعة اليمنية، ج ٣، ص٢٣٨٩.

٢٨ - الارياني، مطهر بن علي: المعجم اليمني (أ) في اللغة والتراث، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٧١٨.

٢٩ - الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٧.

٣٠ - الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٧ ، هامش ٣.

٣١ - الحجري، محمد أحمد مرجع سابق ، ص ٦٥٢.

٣٢ - السياغي، حسين أحمد: مرجع سابق، ص ٨٣.

٣٣ - السياغي، حسين أحمد: مرجع سابق، ص ١٢١.

٣٤ - Müller, W, W: Die Sabäische Felsinschrift von Masna^{c}at Māriya, *NESE* 3, 1978, p.137-148.Taf. IX

٣٥ - الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٧ ، هامش ٤.

٣٦ - مقابلة خاصة مع الأستاذ المهندس جمال محمد شعلان رئيس المركز الوطني لرصد الزلازالي بذمار.

٣٧ - Finster, Barbara: DieGrosse Moschee von Damar, *Archaologische Berichte Aus Dem Yemen,* Band III, Mainz, 1986, p.117.

٣٨ - الرازي، أحمد بن عبد ا بن محمد: تاريخ مدينة صنعاء، ط ٣، تحقيق حسين بن عبد ا العمري، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٩م ، ص ١٣٩..

٣٩ - الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد: تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى، دار الفكر، دمشق، ص ٢٦٢.

٤٠ - Finster, Barbara: DieGrosse Moschee ……, Mainz, 1986, p.117.

٤١ - الوزير، عبد ا بن علي: طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٥م، ص٢٣٨.